

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل: حروف المعاني أمودجا

كمال الدين المبارك علي¹، و بولاجوكو عبد الوهاب أفولبي²

Homonym and Its Effect in Facilitating Communication: A Case Study of Arabic Particles

Kamaldeen Al-Mubarak Ali (Ph.D)¹, Bolajoko Abdulwahab Afolabi (Ph.D)²

1 Department of Languages (Arabic Unit), Faculty of Humanities and Social Sciences,

Al-Hikmah University, Ilorin, Nigeria, +2348035063915, aliyualmubarak@yahoo.com

2 General Studies Unit, Air Force Institute of Technology, Kaduna, Nigeria, +2347056479846

bolawatej4real2014@gmail.com, bolab2020@afit.edu.ng, ORCID NO: 0000-0003-4430-0497

ملخص

عني العلماء الحريصون على سلامة اللغة العربية وبقائها وخاصة البصريون والكوفيون منهم بعناية البحث عن مسوغات ذلك لأهمية الحفاظ على عدم تسرب الخطأ إلى القرآن الكريم فوضعوا أسس علم النحو العربي وقعدوا له ثم بؤبؤا أبوابه وموضوعاته من خلال الروايات العربية الشعرية والنثرية المجموعة، إلا أن تلك الجهود الجبارة التي قدّموها تكاد تفشل في بعض الأحيان فتضعف العربية الفصحى بتسرب الأخطاء إليها من قبل بعض دارسي العربية وخاصة الناطقين بغيرها عند استعمال حروف المعاني في تكوين الجمل لولا مسألة المشترك اللفظي في فقه اللغة. وتدرس هذه المقالة أثر ذلك في تيسير الدراسة النحوية من خلال حروف المعاني المعتبرة عقدة مهمة وركناً ركيناً في ربط الجمل العربية لفظياً ومعنوياً، باتباع المنهج الاستقرائي التحليلي، وتحصّلت الدراسة إلى أنّ للمشارك اللفظي أثراً كبيراً واضحاً في عدم وقوع كثير من دارسي العربية الأعاجم في أخطاء نحوية عند استعمال حروف المعاني، وأنّ الاشتراك اللفظي وقع في الحروف كما وقع في الأسماء والأفعال، وأنّ المشترك اللفظي هو الذي يقصد به النحويون بتناوب الحروف.

الكلمات المفتاحية: المشترك اللفظي، أثر، تيسير التواصل، حروف المعاني.

Abstract

The punctilios scholars about safety and survival of Arabic Language paid great attention to researching on justification of that survival for the purpose of safeguarding the Glorious Qur'an from erroneous recitation, thus, the principles and rulemaking of Arabic grammar was established through the Arabic literary treasures in both prose and poetry gathered from different locations of Arabian Peninsula. However, those tremendous efforts almost fail at times therefore resulting to weakness of pure Arabic Language especially the non-Arabic speakers while applying the Arabic prepositions in sentence construction if not with the aid of "Homonym" in the field of philology. Therefore, this paper studies the impact of that homonym on facilitating and simplifying the syntactical study through the Arabic prepositions that are being regarded as a cardinal point in making coherence Arabic sentence construction. This study adopts inductive method to carry out the analysis. The research findings state that homonym has a great and obvious role in preventing non-Arabic speakers from committing syntactic blunders, and it also affirms that there is homonym in particles as it could be found in both nouns and verbs, and it discovers that homonym was logically referred to by the former noble scholars of Arabic syntax as Tanāwubul-Hurūf (Rotation of Use of particles)

Keywords: Homonym, effect, facilitating, communication, Arabic, Particles.

مقدمة

إنّ طبيعة اللغة العربية وأساليب خطابها توطّد بينها وبين المشترك اللفظي علاقة متميّزة من حيث اتساع لسانها ودلالات الألفاظ على معانيها، فيوجد في ذلك الخطاب بالشيء عاماً ظاهراً بإرادة الظاهر واستغناء بأول هذا عن آخره، وتارة يوجد خطاب عام بإرادة عام ويدخله الخاص فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وأحياناً يكون الخطاب عاماً ظاهراً بإرادة خاص ظاهر يعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهر، وقد يكون هذا كلّ في بداية الكلام، أو وسطه، أو نهايته، فيبتدئ الشيء من الكلام يتبيّن أول لفظه فيه عن آخره، ويبدأ يبيّن آخر لفظه منه أوّله، وتكلم بالشيء يعرف بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها¹. وتتضمن الكلمة الواحدة معاني كثيرة أو يطلق اسم واحد على أشياء متعدّدة، كما فعلوا في

كلمة "الهلال" التي أطلقت على هلال السماء، وهلال الصيد الذي يشبه الهلال وهو حمار الوحش، وهلال النعل الذي هو ذؤابة، والهلال كذلك: لقطبعة من الغبار، والهلال يكون بمعنى الحية إذا سَلَحَتْ، والهلال كذلك: هو باقي الماء في الحوض، ومنه الهلال الذي بمعنى: الجمل الذي أكثر الضراب حتى هزل¹. وهذه الحقيقة موجودة في العربية بكثرة في معرفة أول العلم وإن اختلفت أسباب معرفتها أو صعب على بعضهم العثور عليها حتى أنكروها إنكاراً تاماً فأولوا ما جاء من ذلك من الأمثلة والنماذج الاستشهادية بتأويلات تخرجها عن هذا الباب كابن درستويه في شرح الفصيح²، ومع ذلك، فقد رأى كثير من العلماء القدامى وقوعه في العربية بكثرة حتى أدى ببعضهم الإعجاب به إلى التصدي بتأليف الكتاب فيه كالأصمعي، وأبي زيد، وغيرهما.

وتجدر بنا في هذا الصدد الإشارة إلى أنّ الناحية المقصودة من نواحي المشترك اللفظي هي تناوب حروف المعاني وتجاوزها عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى يجوز فيها ذلك، فليست عن الاشتراك اللفظي النابع من اختلاف اللهجات القبلية العربية لعدّة العوامل التي تسبّب ذلك فمثلاً كلمة "الألفت" من لهجة قريش بمعنى: الأحق، وفي لهجة بني تميم بمعنى: الأعسر، وكذلك كلمة: "السليط" عند جمهور العرب سوى اليمن بمعنى: الزيت، أمّا عندهم فهو دهن السمسم³.

وتتكوّن هذه المقالة من المحاور الآتية بعد الملخص والمقدمة:

¹ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، 2008م، ص:307.

² محمد ابن إدريس الشافعي، الرسالة في أصول الفقه، ص:35.

³ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهري في علوم اللغة العربية، ص:318.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

- مفهوم المشترك اللفظي وعوامل نشأته في اللغة العربية.
- آراء العلماء اللغويين حول وقوعه في اللغة.
- كيفية إعمال المشترك اللفظي في اللغة العربية.
- أثر المشترك اللفظي في تيسير الدراسة النحوية.

مفهوم المشترك اللفظي وعوامل نشأته في اللغة العربية

فالمشترط اللفظي هو ضدّ ومقابل للترادف، وهو من حيث الحقيقة أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ تطلق على كلّ منها على سبيل الحقيقة لا المجاز، أي أنّه "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"¹، وهذا هو حدّه عند كثير منهم حتى الفقهاء، فمثلاً يقول الرازي بأنّه هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً، حتى الأصوليين الفقهاء كابن التلمساني² وأبي النور وابن السبكي³ من حيث هما كذلك⁴. وقد أجمعوا بأنّه يدخل في ذلك المشترك المعنوي الذي تندرج تحته حروف المعاني، وهو كذلك لفظ موضوع لحقيقتين أو أكثر من حيث أنّه مشترك في معنى واحد⁵. ويعني هذا أنّ المشترك يتمشى مع المشترك بحقيقته وفعاليّته مثل كلمة "القتل" التي تندرج تحتها إرهاب الروح أو إخراجها، ثم يكون في معناه كذلك جميع أنواع القتل إما بالعمد أو

¹ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المزهري، ص: 369.

² أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني (771هـ)، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ص: 62-63.

³ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (771هـ)، جمع الجوامع، ص: 25.

⁴ الرازي، 1974م، المحصول في علم الأصول ص: 261.

⁵ صفي الدين محمد بن عبد الحلّيم الهندي الأموي، نهاية الوصول في دارية الأصول، ص: 213-214.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

السبب، أو الدفاع عن النفس، أو الخطأ أو للتكسب وغير ذلك. وقد يسمّى هذا المشترك متواطئاً كما ذكره السيوطي وعبد الوهاب الطويلة ونقله تبيدي: إنّ تساوت أفراده في تحقيق معناه كالإنسان، فإنّ معناه بالنسبة إلى كافة أفرادها على حدّ سواء، وسمّي بذلك من التواطئ والتوافق، ويقول بأنه يمكن أن يسمّى بـ"المشكك" بشرط أن يفقد أفرادها في تحقيق معناه، مثل كلمة "النور" فإنّه في الشمس أشدّ وأقوى القمر والمصباح، وكلّ من المشكك والمتواطئ من المشترك المعنوي¹.

عوامل نشأتها في اللغة العربية

إن دراسة طبيعة اللغة العربية وظروفها تنبئ أنّ لنشوء المشترك اللفظي عدة عوامل أساسية

تتلخّص فيما يلي:

- اختلاف اللهجات

من المسلّم به في علم اللغة أنّه مهما كان الأمر في شأن أيّ لغة، فمتى ما انتشرت في أيّ بقعة أرضية وتكلّم الناس باختلاف بيئاتهم الجغرافية بمختلف ألسنتهم وألوانهم-صعب الاحتفاظ الكامل بوحدة تلك اللغة، فتكون نتيجة ذلك أن تتشعب إلى عدة لهجات قبلية، ولم تسلم اللغة العربية من هذه الحقيقة التي أدّت إلى تجربتها ظاهرة الاشتراك اللفظي بالإضافة إلى نظيرتيه: الترادف والتضاد اللذين هما من ثمرات اختلاف اللهجات.

¹ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (771هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول للبيضاوي، ص:78.

حفلت بعض المراجع العربية من نماذج مشترك الألفاظ العربية، فقد ذكر السيوطي أنّ كلمة

"الألفت" فهو عند قريش بمعنى الأحمق، وفي لهجة بني تميم بمعنى الأعسر. ويرى أنّ نظيرتها: "السليط" معروفة عند جمهور العرب بمعنى: الزيت، بينما تعني عند اليمانيين: دهن الشمس¹.

ويذكر الفيروزآبادي أنّ العرب تطلق كلمتي "السرطان" و"السيد" على الذئب، أما قبيلة هذيل فتطلقهما على الأسد². ومن الأمثلة كذلك ما يلاحظ أنّ كلمة "اليد" تطلق عند بعض العرب على "الكف" خاصة، وعلى الكف والساعد عند بعضهم، بينما تطلقها بعضهم الآخر على كلّ من الكف، والساعد، والعضد إلى الكتف³. فاختلاف هذا الوضع وتعدّده نتيجة لتعدّد الواضعين فلا بدّ من الاشتراك في اللفظ عندهم.

- **نظرة معنوية:** أحيان تُدرّسُ معاني هذه الألفاظ، فإن كان هناك علاقة مجازية لمعنى تلك وتناسبها مع المعنى الحقيقي، إذن تعامل معاملتها، فتشتهر استشهارةً يستر به التجوُّز بطول الزمان، فيُنقل اللفظ على صورة حقيقية في المعنيين، مثل كلمة "العين" تدلّ على عضو جسم الإنسان أو الحيوان، ومع ذلك فهي تطلق على أشياء كثيرة، مثل: عين الماء بمعنى ينبوع، والعين الضارة: الجاسوس، فهذه المعاني استعمالات مجازية قائمة على علاقة المشابهة بينها وبين العين التي هي

¹ عبد الوهاب الطويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص: 86.

² تبيدي، بابكر الخضر يعقوب، المشترك اللفظي عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء في الفروع الفقهية، عبر هذا الربط:

D9%84%D9%81%D9%82%D9%87%D8%A7%D8%A1%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%88%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%82%D9%87%D9%8A%D8%A9

³ السيوطي، المرجع السابق، ص: 381.

عضو الحيوانات كلها وتوسيع دائرة المشترك اللفظي إذ قد كثر استخدامه في تلك المعاني بدون ملاحظة وجه المجاز فيها فلذلك أصبح إطلاقه عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته¹.

- **دراسات موفولوجية وصرفية:** يحصل من خلال دراسات موفولوجية للأصوات العربية أو مسألة الإبدال والقلب الصرفية تطورات صوتية ينال الأصوات الأصلية منها لكلمة معينة بعض التغييرات، أو الحذف، أو الزيادة، وفاقاً لقواعد التطور الصوتي وقوانينه المعروفة فيصبح هذا اللفظ متّحداً مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله. فمن أمثلة هذا التطور الصوتي في بعض الألفاظ العربية ما ذكر الفيروزآبادي من أنّ "الحنك" هو باطن أعلى الفم من داخل، أو الأسفل من طرق مقدم اللحين، وأنه كذلك بمعنى منقار الغراب وسواده²، ف"الحنك" بهذا المعنى الأخير تطوّرت عن "الحلك" الذي معناه شدة السواد، أبدلت اللام فيها نوناً كما أبدلت في نظائرها: إسماعيل وإسماعين، وإسرائيل وإسرائيلين، وجبريل، وجبرين، وغيرها، على حدّ قول أبي طيّب³. فبهذا يوجد أنّ للإبدال دوراً في نشوء ظاهرة الاشتراك اللفظي.

- **اقتراض بعض الألفاظ من لغات أجنبية:** يحدث العامل إذا كانت اللفظة المقترضة فصيحة تدلّ على معنى يختلف عن المعنى الذي تدلّ عليه اللفظة العربية المعروفة، كاستعمال "السور" بمعنى حائطة المدينة حيناً، وبمعنى "الضيافة" حيناً آخر. فالكلمة في المعنى الأول عربية لفظاً ومعنى،

¹ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص:339.

² تبيدي، المرجع السابق، ص:481.

³ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص:190.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

والأخير فارسية، كما يظهر فيما رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ بِالْفَارْسِيَّةِ حِينَ نَطَقَ بِهَا فِي قَوْلِهِ: "يا أهل الخندق، قوموا فقد صنع جابر سوراً"، قال ثعلب: إِنَّمَا يَرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ بِالْفَارْسِيَّةِ". ف"صنع سوراً" بمعنى طعاماً دعا إليه الناس¹، ومنه كذلك "الحبّ" بمعنى "الوداد" فهي عربية، أما كونها بمعنى الجرّة التي يجعل فيها الماء، فهي فارسية جاءت مماثلة للفظ العربي².

آراء العلماء حول وقوع المشترك اللفظي في العربية

لم يختلف شأن العلماء الأقدمين في وقوع المشترك اللفظي والاعتراف به عن شأنهم في أخويه: الترادف والتضاد، فمنهم من اعترفوا به وأيدوه وأقروا بآئه وقع بكثرة في اللغة العربية فأكثرها من التمثيل، على رأسهم الأصمعي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، والمبرد، وغيرهم حتى يوجد منهم من ألقوا فيه بعض كتب، يقول ابن فارس: "تسمّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب، وتسمّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف، والمهند، والحسام"³. ويقول الصاحب: "الاشتراك أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر"⁴. وقد وافقه السيوطي نقلاً عن أهل

¹ الفيروزابادي، المرجع السابق، ص: 299-300.

² أبو طيب اللغوي، الإبدال، ص: 402.

³ الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص: 82.

⁴ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، ص: 310.

الأصول بـ"أنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"¹، وقد فصّل فيه الكلام حتى ذكر أنه يمكن أن يوضع أحد اللفظين المشتركين لفظاً ومعنى، ثم يوضع الآخر لمعنى آخر وقال بأنه يشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين، ثم استدلل على قوله هذا بأنه يمكن ويصحّ ذلك لكون اللغة غير توقيفية. ومن الذين أيّدوا المشترك اللفظي ابن دريد الذي ذكر أمثلة كثيرة له في الجمهرة بقوله: "العمُّ: أخو الأب، والعمُّ: الجمع الكثير، ومنه يقال: مشى يمشي من المشي، ومشى: إذا كثرت ماشيته، ومنه كذلك قولهم: النوى: مواضع، النوى: الدار، والنوى: النية، والنوى: البعد"²، ومن قبيل ذلك قول الجوهري في الصحاح: الهلال: أول ليلة، والثانية والثانية، ثم هو قمر، والهلال: ما يضمّ بين الحنوين من حديد أو خشب، والهلال: الماء القليل في أسفل الركبي، والهلال: السنان الذي له شعبتان، يصاد به الوحش، والهلال: طرف الرحى إذا انكسر منه"³.

ومن مؤيّديه كذلك الدكتور إميل بديع الذي أشار إلى أنّ الاشتراك اللفظي ظاهرة لغوية عالمية موجودة في كثير من اللغات البشرية، ورأى أنّه قد لا يمكن إنكارها في اللغة العربية، وأوّل جميع أمثلتها تأويلاً يخرجها من هذا الباب، فقد استدلل على جواز ذلك بأنه لا يوجد في بعض شواهدا بين المعاني

¹ ابن فارس، في فقه اللغة.

² جلال الدين السيوطي (91هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص:260.

³ أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، جمهرة اللغة، ص:10.

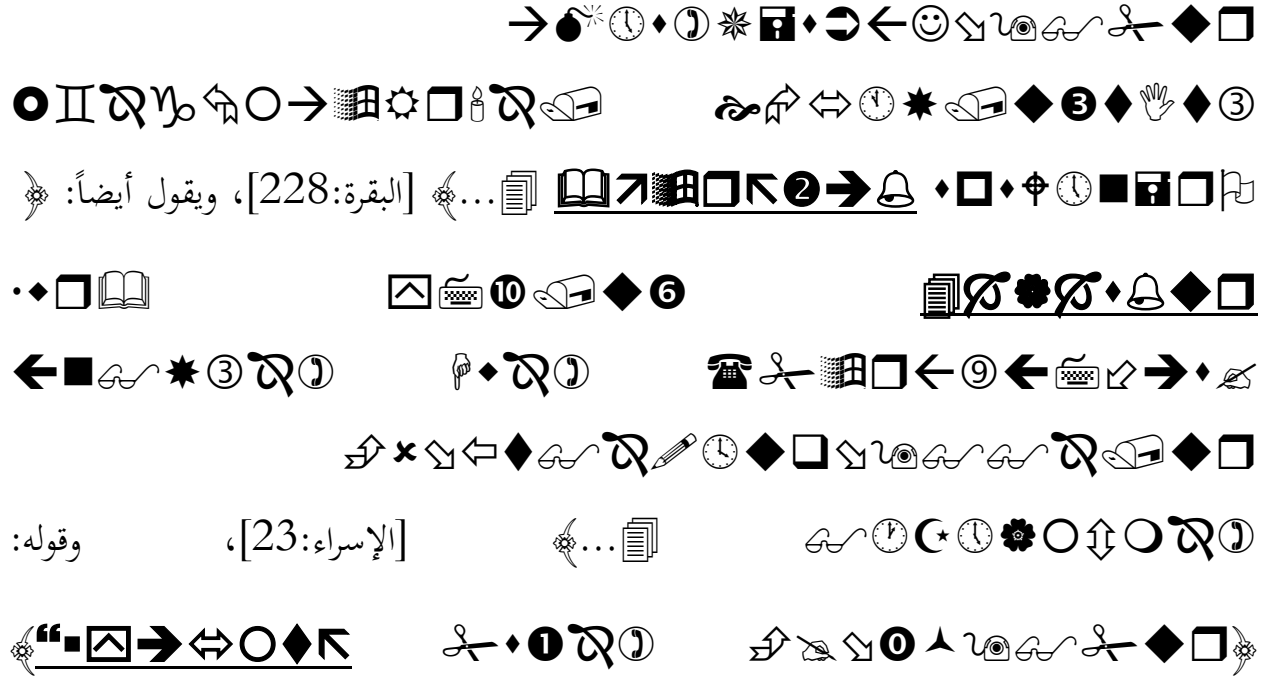
التي يطلق عليها اللفظ الواحد، ثم أكد مكانتها المرموقة عند البديع وخاصة المتأخرين، إذ لولاه ما راجت سوق التورية، والجناس التام، وطرق التعمية والإيهام¹.

ويرى غير أولئك من العلماء أنه لا يوجد المشترك اللفظي في اللغة العربية وحاولوا تأويل ما يشبه ذلك من أمثله وهذا يخرجهم عن هذا الباب يجعل أحد اللفظين حقيقياً والآخر مجازياً كابن درستويه الذي ذكر لفظه "وجد" مع اختلاف معانيها كما ذكره السيوطي بقوله: هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أنّ من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه، لأنّ سيويوه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فظنّ من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً، ولكن فرّقوا بين المصادر، لأن المفعولات كانت مختلفة، فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعوله²⁴. وليس ابن درستويه وحده في هذا الإنكار بل مال إليه غيره كأبي علي الفارسي وآخرين.

وخلاصة القول وأرجحه كما يرى الباحث الحالي أنّ المشترك اللفظي واقع في اللغة العربية لإمكان وجوده في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بكثرة أمثله فيها. ففي العربية مثلاً، يتبين هذا عبر النماذج المذكورة سابقاً لبعض الكلمات، أمثال: العين المطلقة على العين الباصرة، والجاسوس، والينبوع، والذهب، والسلعة، ومنه كذلك قولهم في كلمة "عسعس" لظلام الليل، وكلمة "قضى" لوجوب الأمر، وكلمة "اليد" الموضوعه لليمنى، واليسرى، وكلمة "القرء" المطلقة على الحيض والطمهر. يقول تعالى: ﴿

¹ أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (398هـ)، الصحاح، ص: 1505.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل



[التكوير:17]. فكلمة "قروء" تأتي بمعنيين: الحيض والطمهر، كما تأتي كلمة "قضى" بمعنى: القضاء والإعلام أو الإخبار، وكذلك "عَسَّعَس" تكون بمعنى: الإقبال والإدبار. فلهذا يوافق الباحث الحالي الفرقة الأولى المؤيدة وجود الاشتراك اللفظي في العربية.

كيفية إعمال المشترك اللفظي في اللغة العربية

دار النقاش بين مؤيدي وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية حول إعماله بجميع معانيه، إذا لم تتعين قرينة تبين المعنى المراد من تلك المعاني. وقد اختلفوا فيما إذا كان هناك لفظ مشترك ولم يترجح أحد معنيه أو معانيه في نص واحد، فهل يصح إرادة كلٍّ من تلك المعاني أو لا يصح، بحيث يكون المعنى الوارد عليه متعلقًا بكلٍّ واحد منهما. فجميع العلماء في ذلك في آراء ثلاثة آتية:

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

أ. أنه يجوز إرادة جميع معاني المشترك اللفظي سواء أكان واردًا في النفي أم في الإثبات، بشرط

ألا تختلط معانيه بالتضاد¹. يقول تعالى: ﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

[الأحزاب:56]، وقوله: ﴿

﴿

﴿

﴿

الأولى رحمة من الله، وهي من الملائكة استغفار، وكلاهما مراد الله تعالى في الآية، وهذا يجعل

المشترك اللفظي هنا معملاً في جميع معانيه. وكذلك الحال في الآية الثانية لكلمة السجود

الذي هو الهيئة المعروفة من الناس في صلاتهم بوضع الجبهة على الأرض، أما عند غير

الناس فخشوع قهري، وهما مقصودان في الآية.

¹ السيوطي، المرجع السابق، ص:384.

ب. يمنع القول الثاني منعًا جازمًا، ويرى أنه لا يصحّ ذلك إلاّ معنى واحدًا من جميع معانيه سواء أكان واردًا في النفي أم الإثبات، وفرض التوقف حتى يظهر ترجيح بعضها على بعض¹، ودليلهم على هذا أنّ العرب وضعت هذه المعاني على التبادل، فكل معنى له وضع يختلف عن المعنى الآخر، فلذلك لا يمكن إرادة جميع المعاني لأنّ ذلك يكون مخالفًا لأصل الوضع، وأنّه لو كان يصحّ إعمال جميع المعاني لنصّ واحد لما يصحّ كون أحد المعنيين حقيقة والآخر مجازًا، ومثالهم في ذلك كلمة "فُرُوؤٌ" في الآية السابقة حين أجمع العلماء على أنّها محمولة على أحد معنييها: الحيض، والطهر².

أثر المشترك اللفظي في تيسير الدراسة النحوية

يستنبط ممّا سبق أنّ المشترك اللفظي موضوع بأوضاع متعدّدة لأكثر من معنى، ويخلّ بالتفاهم إذا لم توجد قرينة تبيّن المقصود منه وتنصّ عليه، إذ بذلك يكون مجملًا بين معانيه الحقيقية المختلفة التي وضع لكلّ منها على حد سواء. فقد اتفق العلماء على الأخذ بالمعنى الذي تدلّ عليه القرينة، فإنّما يكون صالحًا للترجيح عند فريق قد لا يكون صالحًا عند الآخرين تبعًا لنتيجة الاتجاه الذي مال إليه الأول واتّجه غيره إلى غير ذلك: فحروف المعاني بخلاف ذلك من حيث اتفاق العلماء النحويين واعترافهم الجميل

¹ إميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 179.

² أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، الصحابي، ص: 456.

بتناوب معانيها، وإن كان لا بدّ من وجود قرينة تبين صلاحية ذلك التناوب ومناسبته المقام في الجملة لكن يكون عن طريق طبيعة الفعل/الاسم والمعنى المنشود.

يدرس هذا المبحث دور تناوب حروف المعاني العربية في منع وقوع دارسي العربية في الأخطاء النحوية والصرفية وخاصة الناطقين بغيرها، وإن كانوا لا يتنبّهون للاشتراك اللفظي في تلك الحروف أثناء تعبيراتهم المكتوبة أو المنطوقة، إلاّ أنّه مهّد لهم الطريق لسلامة التعبير نحوياً، وصرفياً، ولغوياً، وقوّت بلاغتهم المعانية كما يظهر ذلك في السطور الآتية:

● "الباء": الحرف "باء" من حروف المعاني ومعناها الأصلي "الاستعانة" مثل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كتبت بالقلم، يقول النابغة الجعدي في قصيدته:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج ** نقرب بالسيف ونرجو بالفرج¹

وقد تستعمل هذه الباء في معانٍ تناوبية أخرى كالمصاحبة، والسبب، والتعليل، والظرفية، وزائدة في اسم التفضيل، وزائدة في الفعل اللازم. ومن شواهد هذه الباء في تعبيرات الناطقين بغير العربية قول أحمد أُوَيْلَيْنَجِي في قصيدته:

ومن لجهول من فتى سمحت له ** بتسع حروفات فليس بفارق²

¹ محمد أحمد بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار (973هـ)، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، ص: 140-141.

² علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (730هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، ص: 40.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

فكلمة "تسع" مفعول به للفعل سمحت، فإعمال الباء في هذا الموضع جائز وصحيح، إذ به

احترز عن الخطأ الذي قد يتحقق في نصب كلمة "تسع". والباء نفسها في معنى الاستعلاء بقوله:

وبلغني منك الرسالة دالة** بتحية نقية متعاقب

وقوله: "إذا المرء لم يشكر للناس بنعمة". فمعنى "الباء" في العبارتين "استعلاء" حيث تم إعمال

الباء بمعنى "على"، فمثلاً كلمة الدالة من فعله الماضي "دل"، لازم، فلا يمكن التعدي به بدون حرف

الجرّ "على" إلاّ استُعْمِلَ حرف للتأدية العملية تناوباً. وكذلك كلمة الشكر، وإن كانت متعدية حيناً

ولازماً آخر، لكن يشكر الله أو الإنسان على شيء فليس بشيء.

● "الواو": إن معنى "الواو" الأصلي "العطف" بين الجملتين المناسبتين مناسبة تامة أو كلمتين اسمياً

كانت أم فعلاً أم حرفاً، إما في الخبرية أو الإنشائية، وإلاّ يفصل بينهما إذا أدى ذلك إلى

اللبس/خلاف المقصود. فمما يروع الباحث هنا إجادة أحد الناطقين بغير العربية هذا الحرف في

هذا الموضع كقوله:

وقولوا هو مزن الحيا فإذا جدى** وليس بذى رأس وليس بذانب

وقوله:

ولا مثله في اليوربويين فانظروا** وهل ما علمتم أنّه شمس أرضنا¹

¹ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، المستصفى من علم أصول الفقه، ص: 71.

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

فالجملـة الأولى/الشـطر الأول في البيت الأول إنشائية معطوفة عليها الجملـة الأخيرة الخبرية،
والجملـة الأولى/الشـطر الأول في البيت الأخير (الثاني) فبالعكس، أي الجملـة الأولى خبرية، والأخيرة
إنشائية. فدلالة صحة العطف هنالك أن الفصل بينهما يوهـم خلاف المقصود (النفي/اللبس)، إذ تأتي
العبارـة بالفصل على هذه الصورة:

وقولوا هو مزن الحيا فإذا جدى ** ليس بذى رأس وليس بذانـب

ولا مثله في اليوربويين فانظروا ** هل ما علمتم أنه شمس أرضنا.

فيفهم من ذلك أنّ ذلك الشخص ليس بذى رأس وليس بذانـب إذا جدى فقط، أمّا إذا لم يجد
فيكون ذا رأس وذانـبًا، فلا يكون هناك ربط تام بين الجملتين بدون "الواو"، بينما المقصود والمناسبة
"الاستثنائية" بمعنى "العطف" بينهما كما قال الشاعر.

● حتى¹: فمعناها الأصلي "الغاية"، وقد تستعمل في معان فرعية تناوبية كالعطف وغيره. وقد
وردت بمعنى العطف من بعض الناطقين بغير العربية في نيجيريا في قوله: ... فأشار للسائق أن
يجلب منها الماء ويصُبّه في خزانة السيارة فامتثل السائق الأمر فتحركت السيارة حتى أوصلتهم
المدينة". يبدو أنّ الحرف "حتى" ليست للغاية بل للعطف، لما يلاحظ من التشريك بين الجملتين
الفعليتين، كما يلاحظ الشرط الذي أشار إليه المالقي في أداء "حتى" هذا المعنى بكون الثاني جزءاً
من الأول، وكونه عظيمًا إن كان الأول حقيرًا والعكس. فبدراسة الجملتين يدرك أن تحرك السيارة

¹ أحمد مصطفى أولينجي الزكوي، نفائس القلوب في مآثر المحبوب، ص:4.

كرامة للشيخ بعد أن تعطلت عن العمل أمر عظيم، والجملّة الثانية (مواصلة السيارة السير) أمر أخفّ من الأول، كما يفهم كذلك أنّ الجملة الثانية جزء مهمّ من الأولى، لأنّ تحرك السيارة لا تكفي ولا تنفع أكثر إلّا إن استطاعت أن تواصل السفر كما كانت الحال في النص.

فلولا أثر الاشتراك اللفظي في جواز تناوب بين معاني تلك حروف المعاني لتيسير التواصل لأمكن القول بأنّ هؤلاء الأعاجم الدارسين العربية قد وقعوا في اللحن أو الأخطاء النحوية. والدليل على إمكانية ذلك هو حاجة إعادة نظر في تلك الأبيات الشعرية، فقد كانت بعض أخطاء لغوية ونحوية، وعروضية تنبئ عن مقدرة قائلها العلمية التي تشمّ فيها روح العجمة والتي تحتاج إلى التطوير. ويعني هذا أنّهم قد لا ينتبهون لتصحيح أخطاء نحوية عن إجادة استعمال حروف المعاني إن وقعوا في الخطأ من ذلك لولا أن يسرته الاشتراك اللفظي.

خاتمة

هذا البحث محاولة دراسة تأثير الاشتراك اللفظي في تيسير الدراسة النحوية لدى دارسي العربية وخاصة الناطقين بغيرها. تمكّن البحث عبر صفحاته من النظر في أمور متعلقة بالاشتراك اللفظي من نشأة وتطور، وعوامل نشأته، وما قاله العلماء في وقوعه في اللغة العربية، ثم عرض آراء مؤيديه عن أعمال جميع معانيه، واختتم بأثره في تيسير الدراسة النحوية حيث اعتنى الباحث بنماذج بسيطة من الدراسة النموذجية التطبيقية من أقوال دارسي العربية الأعاجم النيجريين شعراً ونثراً. وتحصل البحث في آخر المطاف إلى نتائج هي:

المشترك اللفظي وأثره في تيسير التواصل

1. إن المشترك اللفظي موجود في اللغة العربية بناءً على الألفاظ العربية المعروضة.
 2. إنَّ للمشارك اللفظي أثرًا كبيرًا واضحًا في عدم وقوع كثير من دارسي العربية الأعاجم في الأخطاء النحوية عند استعمال حروف المعاني.
 3. إنَّ الاشتراك اللفظي واقع في حروف المعاني العربية كما هو واقع في الأفعال والأسماء.
 4. إنَّ المشترك اللفظي وليد اللهجات العربية المختلفة.
 5. إنَّه لا يصحّ إعمال جميع معاني المشترك اللفظي مع وجود قرينة مبيّنة لأرجح منها.
 6. لا يصحّ إنكار الاشتراك اللفظي في العربية بحجة كون بقية المعاني مجازية، لأنَّ المجازي يشترك مع الحقيقي في أوجه أو صفات ما، فلذلك صحّ حمله عليه، فجميع معاني المشترك اللفظي بعضها صالحة مع بعض وداخلة فيها.
- ويوصي الباحث بزيادة الدراسة عن بلاغة المجاز والحقيقة في مشتركات الألفاظ العربية.

المراجع

- ابن النجار، محمد أحمد بن علي الفتوحي، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، تحقيق: الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، الرياض، مكتبة العبيكان، 1418هـ، ج/1.
- ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن (321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: الدكتور رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، ط/1، ج/1.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (395هـ)، **الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، بدون التاريخ والطبعة.
- أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد سيار الشيباني، **مجالس ثعلب**، دار المعارف، ط/2، 1960م.
- أبو النور محمد زهير (1418هـ/1998م)، **أصول الفقه**، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج/2.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، **المستصفى من علم أصول الفقه**، تحقيق: الدكتور طه سليمان الأشقر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1417هـ/1997م، ج/2.
- أبو طيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1961م، ج/2.

- أحمد مصطفى أويلينجي الزكوي، **نفائس القلوب في مآثر المحبوب**، جمع وترتيب: أبوبكر الصديق ابن الإمام صلاح الدين، بدون ذكر المطبعة.
- الأموي، صفي الدين محمد بن عبد الحلیم الهندي، **نهاية الوصول في دارية الأصول**، تحقيق: الدكتور صالح بن سلمان يوسف، والدكتور سعد بن سالم السيوح، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ/1999م، ط/2، ج/1.
- إميل بديع يعقوب، **فقه اللغة وخصائص العربية**، بيروت، دار العلم للملايين، ط/2، 1986م.
- تبيدي، بابكر الخضر يعقوب، المشترك اللفظي عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء في الفروع الفقهية، مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد/6، العدد 35.
- التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م.
- الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (398هـ)، **الصحاح**، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، ج/4.

- الرازي، الإمام محمد بن عمر بن الحنيف، **المحصل في علم الأصول**، تحقيق: الدكتور طه جابر، ج1، فياض العلواني، الرياض، مؤسسة الرسالة، 1412هـ-1994م، ط1.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، **جمع الجوامع**، مصر، دار إحياء الكتب العلمية، ج/1.
- السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي، **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول للبيضاوي**، تكملة: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، 1404هـ، ط/1.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **المزهر في علوم اللغة العربية**، تعليق: محمد جاد المولى وعلي البحاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل ودار الفكر.
- الشافعي، محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار ابن الجوزي.
- عبد الرحيم حمزة، **حماة الثقافة العربية الإسلامية من طغيان الثقافة الإنكليزية المسيحية في نيجيريا**، أغيني، مطبعة الثقافة الإسلامية، بدون ذكر الطبعة، 1396هـ/1976م.
- عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1، 1418هـ/1998م، ج/4.
- عبد الوهاب الطويلة، **أثر اللغة في اختلاف المجتهدين**، بيروت، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ، ط/2.

- علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (730هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، بيروت، مطبعة دار الكتاب العربي، 1974م، ج/1.
- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مصر، نهضة مصر.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج/1.
- النادري، محمد أسعد، فقه اللغة مناهله ومسائله، بيروت، المكتبة العصرية، 2008م.